ISSUE 9 June 2020
مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية
Journal of Humanitarian and Applied Sciences
العدد 9 يونيو 2020

أسس نظرية الأفعال الكلامية في اللسانيات التداولية

The fondations of the theory of speech acts in pragmatics

د. بن زحاف يوسف Dr. Youcef Benzahaf

قسم اللغة العربية، جامعة أحمد زبانة، غليزان، الجزائر

Arabic Departement, University Ahmed Zabana, Relizane, Algeria

Abstract:

This article deals with the most important theory in pragmatics; That is the theory of speech acts. It introduces it by the factors that led to its emergence, by its dimensions, its pholosophers, how it changed by time? how it looked at the linguistic sentence? and the language in general? and what problems it addresses? The most important differences between its founders John Austin and John Searle.

Keywords: Pragmatics, speech acts, Locutionary act, Ilocutionary act, Perlocutionary act.

ملخص

يتناول هذا المقال أهم نظرية في اللسانيات التداولية، وهي نظرية الأفعال الكلامية، فيعرف بها، وبنشأتها، وبالعوامل التي أدت إلى ظهورها، وبأبعادها، وبأعلامها، وبالتغّيرات التي طرأت عليها وكيف تنظر إلى الجملة اللغوية، وإلى اللغة بعامة، وما الإشكالات التي تعالجها؟ وأهم الاختلافات بين مؤسسيها جون أوستين وجون سيرل.

الكلمات المفتاحية

التداولية، الأفعال الكلامية، فعل التلفظ، الفعل الإنجازي، الفعل التأثيري.

تمهيد:

تعتبر نظرية الأفعال الكلامية، أساس اللسانيات التداولية، فهي الأسبق ظهورا، وأولها تناولا بالفحص والتقويم، وأشدّها في الواقع صلة بالأبحاث الفلسفية الذي شهدها النصف الأول من القرن العشرين. والحقيقة أن بروز حقلها المعرفي إلى الوجود يعتبر انعطافا حاسما في الدراسات اللسانية الحديثة بوجه عام، وإن كان بصورة مجملة شديدة الإجمال، لأنها خضعت في السنوات اللاحقة إلى الكثير من التعديل والتقويم والنقد، مما أخصبها خصوبة عالية من جهة، وعمّق مفاهيمها من جهة أخرى فأعطاها شرعية الوجود.

فما نظرية الأفعال الكلامية، إذن؟، وكيف نشأت؟، وما العوامل التي أدت إلى ظهورها؟، وما أبعادها؟، ومن هم أعلامها؟، وما التغّيرات التي طرأت عليها؟ وكيف تنظر إلى اللغة، وما الإشكالات التي تعالجها؟ هذا ما سيحاول أن يجيب عنه هذا المقال.

1. نشأة نظرية الأفعال الكلامية

ظهرت نظرية الأفعال الكلامية، التي هي في جوهرها نظرية تُعنى بالدرجة الأولى بالأفعال المتضمنة في القول، مع المحاضرات التي كان يلقيها جون أوستين في جامعة هارفارد، في سنة 1955. وقد توّجت هذه المحاضرات بإصدارها في كتاب، طبع في سنة 1962، في بريطانيا، بعد وفاة أوستين، يحمل عنوان: كيف ننجز الأفعال بالكلمات (How to do things with words). فيما واصل تلميذه جون سورل تنظيم أفكار أستاذه وتطعيمها بالكثير من المقترحات، وخاصة في كتابه: أفعال الكلام (Speech Acts)، الذي صدر سنة 1969. وكتاب أوستين يدور حول فكرة أساس ملخصها فيما يلي: إن الوظيفة الأساسية للغة ليس هي وصف ما هو كائن، ولا في نقل المعلومات، مجردةً، من متكلم إلى سامع، ولكن وظيفة اللغة الأساس هي «التأثير» في السامع. يقول باتريك شارودو (Patrick Charaudeau): " «القول»، هو دون شك، نقل معلومات إلى الآخرين حول الموضوع الذي نتكلم عنه، ولكنّه أيضا «فعل»، بمعنى محاولة التأثير في المخاطَب"[1].

وانتقد أوستين في صدر هذا الكتاب مذاهب الفلاسفة، سواء الفلاسفة الكلاسيكيين، ممن وضعوا أسس المنطق الصوري، وعلى رأسهم أرسطو، فضلا عن كانط من المحدثين، وذلك حين استثنوا الجمل ذات القالب الإنشائي من الدراسة، وقصروا المنطق على الجمل الخبرية، التي هي في زعمهم الوحيدة التي يمكن أن يصاغ فيها الفكر الإنسان صوغا صحيحا. إذ " ليس كل قول بجازم، وإنما الجازم القول الذي وجد فيه الصدق أو الكذب؛ وليس ذلك بموجود في الأقاويل كلها، ومثال ذلك: الدعاء، فإنه قول ما، ولكنه ليس بصادق ولا كاذب "[2]. وقد تابعه في ذلك الفلاسفة المسلون[3]، ثم الفلاسفة المحدثون، أعني الفلاسفة الذي كانوا يحملون تسمية فلاسفة أكسفورد على وجه التحديد، من رواد الوضعية المنطقية، وذلك بتصنيفهم الكلام البشري إلى جمل خبرية وإنشائية كأسلافهم؛ وفي الجمل الخبرية هناك جمل ليست ذات معنى أصلا؛ فقد " ألفَ الناس أن ينظروا بالمنطق ذي القيمتين إلى القول يقوله القائل ليخبر به خبرا؛ أي أنهم قد ألفوا أن يحكموا على الخبر يأتيهم به المتكلم بأحد شيئين : فهو عندم إما صواب أو خطأ، ولا ثالث لهذين الفرضين؛ حتى جاء المناطقة المحدثون، فأضافوا إلى الحكمين التقليديين حكما ثالثا، هو أن يكون القول كلاما فارغا لا يحمل إلى السامع معنى، فلا يجوز وصفه حينئذ بصواب أو خطأ، وبالتالي لا يجوز أن يكون موضع أخذ وردّ وبحث ومناقشة "[4]. وإذن فقد تم إخراج هذا القسم من الكلام من البحث الفلسفي من الأساس؛ دون أن ننسى النحاة من ذوي النزعة العقلية، من مثل جماعة بول روايال (Paul royal)، الذين جمعت أعمالهم في الكتاب المشهور: النحو العام المنطقي (Grammaire Générale et Raisonné) [5]. وقد سقط كل هؤلاء فيما كان يسميه أوستين: مغالطة الوصف، أو وهم الوصف (descriptive fallacy) [6]، الذي كان

---

[1] Patrick Charaudeau, et dominique Maingueneau : Dictionnaire d'analyse du discours, Ed Le seuil, Paris, 2002, p16.

[2] أرسطو : منطق أرسطو، كتاب العبارة، تحقيق عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ط1، 1980، ص103.

[3] انظر : أبو حامد الغزالي : معيار العلم، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ص 109.

[4] زكي نجيب محمود : موقف من الميتافيزيقا، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1993.ص 1.

[5] انظر : خالد ميلاد : الإنشاء في العربية، دراسة دلالية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001، ص488.

[6] John Austin : How to do things with words, Oxford University Press, Amen House, London, 1962. p 3.

يدافع عنه التيار اللغوي السائد، بل من عهد الفلاسفة اليونان. وتنبأ بأن ملاحظاته هذه ستحدث ثورة في فهم طبيعة اللغة ووظيفتها.

وإذن، ومنذ هذه اللحظة يتأسس في الفكر اللساني المعاصر تيار جديد يرى أن الفعل الكلامي مساو تماما للفعل بمفهومه المادي. ولم تعد فكرة التغيير مقتصرة على التغيير المترتب على الفعل المادي، ولكن مترتبة أيضا على الكلام باعتباره فعلا إنجازيا. فأنت عندما تريد أن تغير مكان الكرسي الموجود أمامك تكون بين اثنتين: إما أن تمدّ يدك إلى ذلك الكرسي وتغيّر مكانه حسب مرادك، ولك في هذا أن تكون صامتا لا تتكلم، وفي هذه الحالة يعتبر فعلك هذا فعلا بمفهومه المادي البحت، وإما أن توظف الكلام، فتأمر غيرك أو تطلب منه أو تعده أو تتوعّده، أو غير ذلك من أساليب القول، التي تتعين بحسب السياق؛ وفي هذه الحالة تعتبر هذه الملفوظات، كلّ على حدة أفعالا، ولكنها من جنس مغاير: إنها كلامية، لأنها تحدث الأثر نفسه الذي يحدثه الفعل بمفهومه المادي.

2. مشكلة الإنشاء والخبر

ظلّت مشكلة تقسيم الملفوظ اللغوي إلى خبري وإنشائي هي لب المشكلة في فلسفة اللغة، منذ القديم؛ واستأنف فيها الجدل في العصر الحديث في الفلسفة الوضعية على وجه التحديد. وانطلاقا من هذا الاضطراب فقد قدم أوستين إسهامه في حل هذه المشكلة.

ففي المحاضرة الأولى من كتابه، يوضّح أوستين كيف أن الفلاسفة وقعوا في فخ التوهّم حينما افترضوا أن المهمّ في العبارة هو إما وصف (describe) حالة شيء ما، وإما إثبات (state some fact) واقعة بعينها. مما يعني أن تكون إما صادقة أو كاذبة. في الحقيقة لقد أشار علماء النحو إلى أن الجمل لا تفيد بالضرورة الإخبار، بل هناك، في العادة، بالإضافة إلى الإخبار في اصطلاح النحويين، الجمل التي تفيد الاستفهام والتعجب والعبارات التي تفيد الأمر أو التمني أو الرضوخ. ومن غير شك كذلك، فإن الفلاسفة والنحويين، كليهما، كانوا يعلمون أنه ليس من السهل تمييز الجمل الاستفهامية والطلبية من الأخبار، بسبب ضحالة العلامات النحوية المتاحة، مثل ترتيب الألفاظ، وطريقة النطق، وصيغ الألفاظ[1].

وفي مرحلة أولية قدّم أوستن تصوّره للجملة الإنشائية، في عزل أوّلي، وقد عمد إلى تقسيم الجملة إلى خبرية/وصفية (Constative)، تُعاير بمعيار الصدق والكذب، وإنشائية/أدائية (Performative)، وهي التي تؤدي إلى إنشاء/إنجاز واقع جديد، في ظل توافر ظروف مقامية محدّدة. وهي جمل لا يصلح لها معيار الصدق والكذب، ولكن يصلح لها معيار النجاح (happy) أوالإخفاق (unhappy).

ويجب أن نلاحظ أن الجمل الأدائية (performatives)، لا يمكن لها أن تكون موفّقة إلا إذا توفّرت لها شروط الملاءمة (felecity conditions)[2]، التي تحقق لها النجاح. هذا من جهة. ومن جهة أخرى، يجب أن تتحقق لها شروط

---

[1] المرجع نفسه، ص 1.

[2] Michaell L. Geis: Speech acts and conversational interaction, Cambridge University Press, 1995, p. 4.

تنظيمية (regulative conditions)، وهي شروط غير لازمة لأداء الفعل، ولكنها لازمة لأدائه أداء موفّقا، وإلا كان هناك إساءة (abuse) في أدائه.

وتتمثل شروط الملاءمة في العناصر التالية[1] :

أ 1. يجب أن يكون هناك وجود إجراء عرفي مقبول، يؤدي إلى أثر عرفي محدّد. وذلك يقتضي التلفّظ ببعض الكلمات من قبل بعض الأشخاص في ظروف محددة.

أ 2. يجب خصوصا أن يكون أولئك الأشخاص وتلك الظروف مناسبين للموقف الذين هم فيه.

ب 1. يجب أن يؤدى هذا الإجراء من كل المشاركين فيه أداء صحيحا.

ب 2. ويجب أن يؤدي بشكل كامل، كذلك.

ج 1. ولما كان هذا الإجراء، في العادة، مصمّما للاستعمال من قبل أشخاص ذوي أفكار ومشاعر معينة، أو من أجل الشروع في سلوك إزاء أي مشارك. فإن المشارك في هذا الإجراء يجب يحمل هذه الأفكار والمشاعر نفسها.

ج 2. وعلى هؤلاء المشاركين أن يوجهوا سلوكاتهم حسب ما يتطلبه الإجراء.

وقد لاحظ أوستين أن الشروط الأربعة الأولى لازمة لأداء الفعل، فإذا تخلف أحدها فإن هذا يؤدي إلى الإخفاق في أداء الفعل (misfire)، بينما يؤدي تخلف أحد الشرطين الأخيرين إلى الإساءة في أداء الفعل (abuse).

ولكن، بعد الاستقراء والفحص، " وفي مرحلة تالية من محاضراته تبيّن لأوستين وجود أقوال وصفية [صيغة خبرية] لها قيمة إنشائية، بحيث لا تكتفي بمجرد الوصف، بل هي إثباتات تحقق بوساطتها أعمالا لها أثر ما. وهذا ما جعله يعيد السؤال المركزي «بأي معنى يعدّ قولنا شيئا ما إنجازا له؟»، و«بأي معنى ننجز شيئا ونحن نقول شيئا ما؟». فتخلى عن التمييز السابق وكان هذا حجر الزاوية لنظرية «الأعمال اللغوية» "[2].

وإذن، فقد تبيّن أن المعايير التي تُميّز فيها الجمل الإنشائية من الخبرية أكثر دقّة مما كان يتصوّر الفلاسفة والنحويون، فلم يعد المعيار السابق، الذي هو معيار الصدق والكذب كافيا لهذا التمييز. وهكذا رأى أن بعض الجمل ذات الصيغة الخبرية تفيد الإنشاء حقيقة، فبواسطتها ينشئ المتكلم إنجازا متعيّنا. وقد ضرب لذلك مجوعة من الأمثلة هي كالتالي [3]:

– أقبل (I do) (أن أتّخذ تكون هذه المرأة زوجة شرعية) – في حال التلفّظ بها في حفل الزواج.

– أسمي هذه السفينة: الملكة إليزابيث – في حال التلفظ بها عند كسر الزجاجة على هيكل السفينة.

---

[1] John Austin, how to do things with words, p. 14-15.

[2] آن ربول وجاك موشلار: التداولية اليوم، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2003، ص 272.

[3] Austin: Haow to do things with words, p. 5.

– أوصي بهذه الساعة لأخي –كما يحدث في الوصية.

– أراهن بست بنسات على أنها ستمطر غدا.

من الواضح في هذه الأمثلة أن المتكلم، عندما يتلفّظ بهذه الجمل، لا يصف (describe)، ولا يقرّر(report)، ولا يثبت (constate)، شيئا على الإطلاق؛ ولكن التلفّظ بها هو إنجازها على وجه التحديد. ولا علاقة لذلك بمعيار الصدق والكذب.

ولذلك فقد قدم معيارين جديدين[1] :

أولا: أن تشتمل الجملة على فعل مضارع مبني للمعلوم مسند إلى ضمير المتكلم المفرد (first person singular present indicative active). فعلى سبيل المثال، فعندما نقول «أعد بـ..» (I promise that)، فالأمر يختلف عندما نقول «هو يعد بـ..» (He promises that)، أو في حالة الماضي: «وعدت بـ..» (I promised that) يختلف عن قولنا «أعد بـ..» (I promise that)؛ نحن ننجز فعلَ وعدٍ، نحن نعطي وعدا، والأمر الذي لا نقوم به هو أننا لا نخبر (report) عن إنجاز شخص ما، وعلى وجه الخصوص نحن لا نخبر عن تعبير شخص ما بـ «أعد بـ..»، في الحقيقة نحن نستعملها، نحن ننجز فعل الوعد.

ثانيا: أن تشتمل على فعل مبني للمجهول مسند إلى ضمير المخاطب أو الغائب (passive form second or third person)، وليس ضمير المتكلم. مثال ذلك اللافتة التي كتب عليها: «المسافرون ملزمون بعبور السكّة عن طريق الجسر فقط» (Passengers are warned to cross the line by the bridge only).

3. أبعاد الفعل الكلامي عند أوستين

وانطلاقا من الإشكالات التي تعترض المحللين للملفوظ اللغوي، بناء على معايير الصدق والكذب، قدم أوستين مفهومه للفعل الكلامي. فكل تلفّظ، حسبه، ينطوي على ثلاثة أبعاد [2]:

أ. فعل التلفّظ (Locutionary act)

هو التلفظ بجملة من المفردات، مستقاة من معجم لغة بعينها، مرتبة ترتيبا صحيحا، وخاضعة لنظام نحوي محدد؛ فتنتج معنى واضحا، هو المعنى الأصلي. وهذا الفعل يصاحب جميع حالات التلفظ؛ ولكنه، وإن أفاد المعنى الأصلي، فإنه يضل غير كاف لإدراك أبعاده ومراميه.

[1] John L. Austin : Philosophical papers, Edited by J. O. Urmson and G. J. Warnock, Oxford University Press, Great Britain, 2nd Ed, p. 242.
[2] John Austin : How to do things with words, Lecture VIII, p 94.

فعندما يقول قائل لجليسه الذي أخرج علبة السجائر من جيبه: التدخين مضر بالصحة؛ يتمثل فعل التلفظ في هذه الجملة المبنية بناء مقصودا، ينتج عنه دلالة أصلية هي ضرر فعل التدخين على الصحة.

ب. الفعل الانجازي (Ilocutionary act)

ويتمثل في الدلالات المتضمّنة في القول، والتي هي ليست الدلالة الأصلية، ولكنها حاصل الدلالة الأصلية، أي هي دلالات فرعية تتحدد بضروب السياق التي تحيط بالعملية التخاطبية. وقد لاحظ أوستين في هذه الحالة أن الفعل يتوفر على خاصية زائدة، سمّاها خاصّية «القوّة»، فنتج له مفاهيم جديدة، صاغ لها مصطلحات: قوّة الإنجاز (force of illocutionary)»، قوّة الكلام (force of utterance) [1]. وهكذا.

وفي مثالنا السابق يمكن أن يعتبر هذا الخبر:

– دعوة مخلصة إلى التخلي عن عادة سيئة، تسيء إلى صحة المدخّن وإلى المحيطين به.

– وقد يعتبر هذا الخبر امتعاضا من الجليس، لأن المتحدث لا يتحمّل رائحة التبغ الكريهة، وهو لا يبالي أن يدخن جليسه في مكان آخر.

– وقد يعتبر هذا الخبر تهكما على وزارة الصحة التي هي واقعة في تناقض منطقي، إذ هي تسمح بتداول التبغ، وفي الوقت نفسه تلزم المصنعين بإثبات عبارة التدخين مضر بالصحة على علب السجائر.

الفعل الغرضي (Perlocutionary act)

وهو فعل قصدي، ويتمثل فيما يرمي إليه المتكلم من أغراض ومقاصد. ويقف السامع على مقاصد المتكلم من خلال تحليل شبكة واسعة من الظروف والملابسات السياقية، التي تميل بالقصد إلى هذه الجهة أو تلك. ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن المستمع قد يفشل في الوصول إلى مقاصد المتكلم، وهنا يجد المتكلم نفسه مضطرا إلى أن يصوغ ملفوظه على نحو آخر، أكثر وضوحا ومناسبة. وعلى أي حال فأن الصياغة اللفظية لفعل الأمر، على سبيل المثال، قد تخرج إلى أفعال غرضية متعددة حسب سياق القول، كالالتماس، والدعاء، والتمني، والتعجيز، والتهديد، والتحقير، والتسوية، والإباحة، والامتنان [2]. وهكذا يفهم المستمع الأمر في مثل قوله تعالى:

﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ على أنه تهديد ووعيد [3]، وليس حظّا على الفعل مطلقا. وبالمثل فإن النهي قد يخرج إلى الدعاء، والالتماس، والتمني، والتيئيس، والتهديد، والتحقير، والإرشاد. وغير ذلك.

---

[1] Ibid, p 73 ; 76 ; 99 ; 104.

[2] عبد السلام هارون : الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001، ، ص14-15.

[3] فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1981، ج27، ص132.

وبهذا يكون أوستين قد وضع يده على مفتاح جديد في فلسفة اللغة، اقترح من خلاله أن يستبدل التصوّر القديم، أعني تصوّر الفلاسفة والنحاة، في تقسيم الجملة إلى خبرية وإنشائية بتصوّر جديد في الأفعال الكلامية (speech acts)، بحيث " تنهض ثنائية الجملة الخبرية /الجملة الإنشائية (performative/constative) على فكرة ثنائية فعل التلفّظ/ فعل الإنجاز (locutionary and illocutionary)، بحيث تكون نظرية الأفعال الكلامية كنظرية خاصة بإزاء النظرية العامة "[1].

4. تصنيف الأفعال الإنجازية حسب أوستين

وأنتجت صياغة أوستين لمفهوم الفعل الكلامي أن حاول أن يرتّب أفعال الكلام بناء على قوة فعل الإنجاز (Illoctionary force). واستطاع أن يميّز، بصورة جدّ عامة، خمس مجموعات، باعتبار بعدين هما:

أ. بعد الصدق والكذب،

ب. بعد القيمة والواقع.

ويجب أن تلاحظ أن أوستين نفسه لم يكن راضيا كل الرضى عن هذا التقسيم. بسبب تداخل هذه المجموعات، وشدة تعقيدها في الواقع الحي. وهذه المجموعات هي:

- أفعال الأحكام (Verdictives) [2]

وهي الأفعال التي تصدر في حالة الحكم في قضية ما، كما في حالة الأحكام التي يصدرها القضاة في المحاكم، أو الحكّام في الملاعب، وفي كل قضية تتعلق بقيمة أو واقعة خلافية تحتاج إلى حكم في هذا الاتجاه أو ذاك. ولا يشترط في هذا الحكم أن يكون نهائيا، فقد يكون حكما تقييميا، كالحكم الذي يصدره ناقد فني على لوحة زيتية، أو مجرد متفرج على هذه اللوحة. ومن أمثلة هذه الأفعال أحكام الإدانة والتبرئة والتقدير. وهكذا. ومن أمثلة أفعالها: يقيّم (value)، يقيس (measure)، يصف(describe).. إلخ.

- أفعال الممارسة (Exercitives) [3]

وهي الأفعال التي تتعلق بممارسة السلطة والنفوذ. وتتمثل في إصدار القرارات لصالح أو ضد صيرورة حدث معين أو مرافعة. إنها قرارات بأن يكون شيء ما على ذلك النحو أو ذاك. وهو قسم واسع جدا. ومن أمثلتها: يطلب (order)، يترشح (nominate)، يعطي (give)، يوجه (direct) .. إلخ.

---

[1] Ibid, Lecture VII, p. 147.
[2] Ibid, Lecture VII, p. 152.
[3] Lecture VII, p.154.

- أفعال التعهد (Commissives) [1]

وفيها يتعهد المتكلم بفعل شيء ما. ويندرج فيها التصريح وإعلان النية والقصد. وما إلى ذلك. ومن أمثلة تلك الأفعال: يعد (promise)، يوافق (agree)، يقسم (sweare)، يضمن (guarantee).. إلخ.

- أفعال السلوك (Behabities) [2]

وتتمثل في ردود الأفعال على سلوكات الآخرين، وتعبيرات المواقف الخاصة بسلوك سابق لشخص آخر. وهذه الأفعال عديدة ومتنوعة. وهناك ارتباطات عديدة بين التعبير عن المشاعر والتعبير باعتباره تنفيسا عن المشاعر. ومن أمثلة ذلك: أفعال الاعتذار(apologizes)، أفعال الشكر(thanks)، أفعال التعاطف(sympathy)، أفعال التوجهات(attitudes)، أفعال التحية(greettings)، أفعال التمني(wishes)، أفعال التحدي(challeges).

- أفعال الإيضاح (Expositives) [3]

وهي الأفعال التي تُعنى بشرح المواقف ووجهات النظر، وإجراءات الحجاج، وتوضيح الاستخدامات والمراجع. ومن أمثلتها أفعال: يؤكد (affirm)، يصف (describe)، يصنّف (class)، يجيب (answer)، يعترض على (object to). وهكذا.

يجب أن نلاحظ أن هذه التقسيمات ليست تقسيمات صارمة؛ لأن أوستين ذكر مجموعة كبيرة من حالات التداخل، التي تتداخل فيها الأفعال الكلامية، فتكون هذه الأفعال في هذا القسم أو ذاك [4].

5. اعتراضات جون سورل

يجدر بنا أن نشير إلى أن إسهام سيرل في فلسفة اللغة بعامة، والدرس التداولي على وجه الخصوص كبير ومتنوّع، ولذلك يصعب حصره، والتعليق عليه. ومن هنا فلا مناص من الاقتصار فقط على ما تعلق بنظرية الأفعال الكلامية. ولا أقل من أن نلاحظ احترازه من التقسيم الثلاثي للفعل الكلامي الذي تقدم به أوستين، وتنبيهه إلى مكوّن أساس من مكونات الفعل الكلامي، وهو مكوّن الفعل القضوي (propositionel act).

كان اضطراب جون أوستين، وعدم دقته في تصنيف الأفعال الإنجازية دافعا لتلميذه جون سيرل لتقديم تعديلات مهمة على هذه الأفعال. وقد لاحظ أن هذا التصنيف الذي قدّمه أوستين ليس تصنيفا للأفعال الإنجازية، ولكنه تصنيف لأفعال اللغة الانجليزية تحديدا. فبعد استعراض تصنيفات أوستين قال: " أول شيء يجب أن نسجّله على هذه القوائم، هو أنها

[1] Lecture VII, p. 156.
[2] Lecture VII, p.
[3] Lecture VII, p.
[4] Austin, P 153, 155, 157,158.

ليست تصنيفا للأفعال الإنجازية، ولكنها تصنيف لأفعال اللغة الانجليزية "[1]. ومن هنا فقد قدم جملة من الملاحظات والانتقادات حول هذا التصنيف. هي كما يلي:

أولا [2]: ليست كل الأفعال المذكورة في قوائم أوستين أفعالا إنجازية. وعلى سبيل المثال من الواضح أن الفعل «ينوي» (intend) ليس فعلا إنشائيا، فقول القائل: أنوي (I intend) ليس هو فعل النية نفسه (intending). بطبيعة الحال هناك فعل إنجازي في « التعبير عن قصد » (expressing an intention)، ولكن الفعل في الجملة الإنجازية هو « يعبّر عن قصد »، وليس « ينوي ». وبالتالي ف « النية » ليست أبدا فعلا إنجازيا، هو تعبير عن القصد في العادة، ولكن ليس في كل الحالات.

ثانيا [3]: نقطة الضّعف في تصنيف أوستين هي أنه ليس مبنيا على قواعدة واضحة ولا ثابتة. عدا أفعال التعهّد التي اعتمد فيها أوستين تعريفا واضحا. أما أفعال الإيضاح فمن الواضح أنه تم تعريفها بناء على علاقات التخاطب. وفيما يخص أفعال الممارسة فقد عُرفت جزئيا بمصطلحات ممارسة السلطة.

ثالثا [4]: ولأنه لا يوجد هناك مبادئ للتصنيف، ولوجود خلط مستمرّ بين أفعال الإنجاز (Illocutionary acts)، والأفعال المستعملة في الإنجاز (Illocutionary verbs)، فهناك قدر كبير من التداخل بين هذه الفئة وتلك، وقدر كبير من عدم التجانس داخل الفئة نفسها. وعلى سبيل المثال فأغلب الأفعال المصنّفة ضمن أفعال الإيضاح يمكن تصنيفها ضمن أفعال الأحكام. والحالات القليلة التي لا تكون فيها أفعال أحكام، تكون فيها كعلاقات تخاطب.

رابعا [5]: ليس هناك تداخل فقط بين هذه الفئة وتلك، بل داخل الفئة الواحدة، هناك مجموعات متعددة من الأفعال.

خامسا [6]: يرتبط بهذه الاعتراضات الصعوبة المتزايدة المتعلقة بكون الأفعال المرتّبة في هذه الفئة أو تلك لا تتماشى مع التعريفات المقدّمة سلفا. وهكذا فالأفعال: يرشّح (nominate)، يعيّن (appoint)، يعزل (excommunicate)، ليست قرارا في صالح أو ضد مجرى حدث ما، بقدر ما هي دعوة لذلك. بل هي إنجازات لتلك الأحداث وليس دعوة إليها.

6. معايير اختلاف الأفعال الإنجازية

وبناء على هذه الاعتراضات، قدّم سيرل مجموعة من المعايير العامة (الأبعاد)، التي تحتّم اختلاف فعل إنجازي عن الآخر، وهي اثنا عشر اختلافا. وإن كان ينبّه على أهمية المعايير الثلاثة الأولى (هدف الفعل الإنجازي واتجاه المطابقة وشرط الصدق)، لأنه يبني المعايير الباقية عليها. وعلى العموم، فهو يرتّبها كما يلي:

---

[1] John R. Searl : Expression and meaning, Cambridge University Press, 1981, p. 9.
[2] Ibid, p. 9.
[3] Ibid, p. 10.
[4] Ibid, p. 10.
[5] Ibid, p.11 .
[6] Ibid, p.11 .

1. اختلافات في غرض/ هدف الفعل أو نوعه [1]

Differences in the point (or purpose) of the (type) act.

يمكن أن يُعرّف هدف فعل الأمر بأنه محاولة حمل السامع على فعل شيء. وهدف الوصف هو استعراض (صدقا أو كذبا) حالة شيء ما كيف هو كائن. أما هدف الوعد فهو تعهّد المتكلم بفعل شيء. ويجب أن نلاحظ أن هذا البعد هو البعد الأساسي للتفريق بين الأفعال الإنجازية. وقد قال سيرل صراحة بأنه البعد الرئيسي في هذه المعايير. وقد لاحظ أن هدف نوع (type) الإنجاز، التي سماه: الغرض الإنجازي (illocutionary point)، ليس هو نفسه قوة الإنجاز (illocutionary force). وبالتالي فهدف أفعال الطلب ليس هو هدف أفعال التوجيه. كلاهما يحاول أن يحمل المستمع على فعل شيء؛ ولكن القوة الإنجازية ليست هي نفسها فيهما على نحو واضح.

2. اختلافات في اتجاه المطابقة بين الألفاظ والواقع الخارجي

Differences in the direction of fit between words and the world.

ت هدف بعض التعابير إلى أن تجعل من هدفها أن تكون الكلمات المتلفظ بها (أي محتواها القضوي)، مطابقة للواقع الخارجي، كما في حال التقرير والوصف والتفسير؛ في حين أن بعض التعابير الأخرى تجعل من هدفها يكون الواقع الخارجي مطابقا للكلمات المتلفظ بها، كما في حال الأمر والنهي والتعهد والوعد. وهكذا

3. اختلافات في الحالة النفسية المعبّر عنها

Differences in expressed psychological states.

إن الإنسان الذي يقرّر أو يشرح أو يطالب أو ينذر أو يتعهّد، هو في الحقيقة يعبر عن اعتقاد. والإنسان الذي يعِدُ أو ينذر هو في الحقيقة يعبّر عن نيّة. والإنسان الذي يأمر أو يطلب يعبر عن رغبة أو أمنية. والإنسان الذي يعتذر يعبر في الحقيقة عن أسفه لعدم الفعل. وعلى وجه العموم فإن أداء أي فعل إنجازي ذي محتوى قضوي، فإن المتكلم يعبّر عن حالة. ويجب أن نلاحظ أن هذا العنصر يشمل حتى حالة عدم توفر عنصر الصدق، كأن لا يكون لديه اعتقاد أو الرغبة أو النيّة. وعلى العموم فإن الحالة النفسية المعبّر عنها في الفعل الإنجازي هي شرط الصدق في الفعل.

4. اختلافات في القوة أو الشدّة التي يتم بها تقديم فعل الإنجاز

Differences in the force or strength with which the illocutionary point is presented.

إن المثالين التاليين: «أقترح أن نذهب إلى السينما» و«ألحّ على أن نذهب إلى السينما»، كليهما له الغرض الإنجازي نفسه، ولكنهما يختلفان في الشدّة. مثال ذلك المثالان التاليان: «أقسم أن بيل هو الذي سرق المال» و«أظن أن بيل هو الذي سرق المال». وهكذا، وفيما يخص بعد غرض الإنجاز، يوجد درجات متنوّعة من الشدّة.

[1] Ibid, p.2 -8.

5. اختلافات في منزلة أو وضعية المتكلم والمستمع من جهة كونهما يؤثران في القوة الإنجازية للتلفّظ.

Differences in the status or position of the speaker and hearer as these bear on the illocutionary force of the utterance.

وهي تتعلق بالعلاقة التي تربط المتكلم بالسامع؛ فإذا طلب القائد من الجندي أن ينظف الغرفة، فهذا سيكون على الأرجح أمرا. بينما لو طلب الجندي من القائد بأن ينظف الغرفة فإن هذا سيكون من المحتمل اقتراحا أو طلبا، ولكن ليس أمرا أو توجيها.

6. اختلافات في كيفية ارتباط طريقة التلفظ باهتمامات المتكلم والمستمع

Differences in the way the utterance relates to interests of the speaker and the hearer.

كما هي الحال في الفرق بين التباهي والرثاء، وبين التهنئة والتعزية. ففي هذين الزوجين يعي المستمع أن الفرق يكون بين ما هو كائن وما هو ليس بكائن في اهتمات المتكلم والمستمع على التوالي.

7. اختلافات تتعلق ببيئة الحديث

Differences in the relations to the rest of the discourse.

بعض التعابير الإنجازية تصلح لربط الملفوظ اللغوي ببيئة الحديث (وكذلك بالسياق المحيط). وعلى سبيل المثال فإن ملفوظات مثل: «أجيب»، «أستدل»، «أستنتج» و«أعترض»، تصلح لربط الملفوظات بملفوظات آخرى، وبالسياق المحيط، كذلك. ويبدو أن هذه الخصائص التي تميزيها غالبا ما تُدرجها ضمن فئة أفعال الشهادة.

8. اختلافات في المحتوى القضوي التي تتحدد بالقوة الإنجازية التي تشير إلى وسائلها.

Differences in propositional content that are determined by illocutionary force indicating devices.

فعلى سبيل المثال، إن الاختلافات بين التقرير والتنبؤ تتضمّن واقع أن التنبؤ يجب أن يكون متعلقا بالمستقبل، في حين أن التقرير يمكن أن يكون متعلقا بالماضي أو الحاضر. فهذه الاختلافات تتعلق باختلافات في ظروف وشروط المحتوى القضوي.

9. اختلافات بين هذه الأفعال التي يجب أن تكون دائما أفعالا كلامية، وتلك التي يمكن أن تكون كذلك، ولكنها لا تقتضي أن تؤدى كأفعال كلامية.

Differences between those acts that must always be speech acts, and those that can be, but need not be performed as speech acts.

وعلى سبيل المثال فإن أحدا يريد أن يصنّف مجموعة من الأشياء بأن يقول: «أنا أصنّف هذا الشيء في المجموعة [أ]، وهذا في المجموعة [ب]»؛ ولكنه ليس في حاجة إلى أن يتلفظ بشيئ على الإطلاق، إذ يمكنه ببساطة أن يلقي كل

الأشياء [أ] في الصندوق [أ]، وكل الأشياء [ب] في الصندوق [ب] دون أن يتلفظ. وبالمثل فإن أفعالا مثل «يقدّر»، «يشخّص»، «يستنتج»؛ فإنني أستطيع أن أقدّر وأن أشخّص وأن أستنتج، دون أن يكون هناك حاجة لأن أتلفظ بشيء؛ أستطيع بكل بساطة أن أقف أمام مبنى وأقدر مدى علوّه. أستطيع أن أشخّص أو أستنتج دون أن يكون هناك حاجة إلى فعل كلامي، ولا حتى إلى الحديث النفسي.

10. اختلافات بين الأفعال التي تتطلب أعرافا ومواضعات غير لغوية لأدائها، والتي ليست كذلك.

Differences between those acts that require extra-linguistic institutions for their performance and those that do not.

هناك عدد كبير من الأفعال الكلامية التي تتطلب أعرافا ومواضعات غير لغوية لأدائها. وهكذا فإن أفعالا مثل: «يبارك»، «يحرم»، «يعمّد»، لا يمكن أن تكفي لأداء الغرض دون أن يكون المتكلم والمستمع ضمن إطار عرف لغوي محدّد. وقد توهّم أوستين أنه يمكن أن تكون كل الأفعال اللغوية مثل هذه. ولكنها ليست كذلك بالطبع. فعندما أقرّر أن المطر ينزل، أو أعدك بأن آتي لزيارتك، أحتاج فقط أن أساير قواعد اللغة. ولست محتاجا لأي أعراف أو مواضعات غير لغوية. بينما تحتاج بعض التعابير الأخرى تحتاج لذلك.

11. اختلافات بين الأفعال التي لها أداء استعمالي، والتي ليس لها ذلك.

Differences between those acts where the corresponding illocutionary verb has a performative use and those where it does not.

أغلب الأفعال المستعملة في الإنجاز (illocutionary verbs) لها أداءات استعمالية (performative uses)، مثل: «يقرر»، «يعد»، «يأمر»، «يستنتج». ولكنك لا تستطيع أن تؤدي بها أفعالا إنجازية. فليس كل الأفعال المستعملة في الإنجاز (illocutionary verbs) لها أفعال أدائية (performative verbs).

12. الاختلاف في أسلوب أداء الفعل الإنجازي.

Diffrences in the style of performance of the illocunionary act

بعض الأفعال المستعملة في الإنجاز (illocutionary verbs) تصلح لتشير إلى ما يمكن أن ندعوه الأسلوب الخاص الذي يؤدى فيه الفعل الإنجازي. وهكذا فإن الفرق، على سبيل المثال، بين: الإعلان والإسرار لا يحتاج إلى إدراج أي فرق في الغرض الإنجازي أو المحتوى القضوي؛ ولكن، فقط، في أسلوب أداء الفعل الإنجازي.

7. اقتراحات جون سيرل

ويفضي بنا الحديث عن المعايير العامة التي تحتّم اختلاف فعل إنجازي عن الآخر إلى الحديث عن تصنيف جديد؛ فقد كان جون سيرل واعيا بها وعيا شديدا بالنقائص التي اكتنفت تصنيف أوستين. ومن هنا قدّم هذا التصنيف الجديد للأفعال الكلامية، وسمّاها أفعالا إنجازية، هي كما يلي [1]:

[1] John R. Searl: Expression and meaning, p.12 .

- أفعال التقرير (Assertives)

إن الغرض من أفعال التقرير هو قرار المتكلم بكون شيء ما هو قضية واقعة، وبصدق القضية المعبّر عنها. وكل الأفعال المنتمية إلى هذا القسم قابلة للتقييم من منظور الصدق والكذب. ويلاحظ سيرل أن توجّه المطابقة يكون من الألفاظ نحو الواقع الخارجي. ومن المهمّ التأكيد على أن كلمات مثل «أعتقد» و«ألتزم» تهدف إلى تحديد الأبعاد؛ أي تحديد المحتوى القضوي للجملة. إنها، هنا، قابلة للتحديد أكثر من كونها محدَّدة.

- أفعال التوجيه (Directives)

إن الهدف الإنجازي من هذه التراكيب هو محاولة المتكلم حمل المستمع على فعل شيء ما. يمكن أن يكون هذا الحمل لطيفا كأن أدعوك إلى فعل شيء، أو أقترح عليك فعله. ويمكن أن يكون عنيفا عندما ألحّ عليك أن تفعله. ويلاحظ سيرل أن توجّه المطابقة هنا يكون من الواقع الخارجي نحو الألفاظ. والشرط المطلوب هو «يريد» أو «يتمنى» أو «يرغب». والمحتوى القضوي هو أن يفعل المستمع فعلا ما في المستقبل. وأفعال هذه الفئة هي: يسأل، يطلب، يوجه، يتوسّل، يدعو، إلخ. وما هو جدير بالملاحظة أن أفعالا مثل: يجرؤ، يتحدى، ينافس، التي ضمّنها أوستين فئة أفعال السلوك، يسلكها سيرل في هذه الفئة. وكذلك كثير من أفعال الممارسة. وكذلك يمكن أن تصنّف أنواع السؤال ضمن أفعال التوجيه، باعتبار السؤال هو أن يطلب متكلم من مستمع أن يجيب، أي أن يؤدي فعلا ما.

- أفعال الوعد/التعهّد (Commissives)

يعترف سيرل بأن تعريف أوستين لأفعال الوعد/التعهّد هو تعريف لا يمكن الاعتراض عليه؛ ولذلك اعتمده. والاعتراض البسيط الذي نبّه إليه هو أن بعض الأفعال التي صنّفها أوستين ضمن أفعال الوعد ليست هي كذلك، مثل: سوف (Shall)، ينوي (intend)، وغيرها. وبالتالي فأفعال الوعد هي الأفعال الإنجازية التي تُلزم المتكلم، وبدرجات متفاوتة، بفعل مستقبلي. ويلاحظ سيرل أنّ توجّه المطابقة هنا هو من الواقع الخارجي نحو الكلمة، وشرط الصدق هو «قصد المتكلم». والمحتوى القضوي هو أن متكلما ما يفعل فعلا في المستقبل. وطالما كان توجّه المطابقة هو نفسه في أفعال الوعد وأفعال التوجيه، فسيكون لدينا تقسيم لائق إذا استطعنا أن نبيّن بأنهما ينتميان إلى نفس المجموعة. ولكن سيرل يقول بأنه لا يستطيع أن يقوم بذلك لأنه، بينما يكون هدف الوعد، هو يلتزم المتكلم بأن يفعل شيئا ما (وليس بالضرورة أن يحمل نفسه على فعله)، يكون هدف الطلب هو حمل المستمع على فعل شيء ما (وليس بالضرورة إلزامه أو إجباره على فعله).

- أفعال التعبير (Expressives)

إن الهدف الإنجازي لهذه المجموعة هو التعبير عن الحالة النفسية، متجلّية في شرط الصدق بشأن حالة الوقائع المتجلية في المحتوى القضوي. إن نماذج أفعال التعبير هي: يشكر»، «يهنّئ»، «يعتذر». ويجب ملاحظة أنه في حالة أفعال التعبير لا يوجد هناك اتجاه مطابقة. وحين تأدية فعل التعبير فإن المتكلم لا يحاول أن يُكيّف الواقع الخارجي مع الألفاظ، ولا يحاول تكييف الألفاظ مع الواقع الخارجي. ولا يفترض إلا صدق القضية المعبّر عنها.

وهكذا، فعندما أعتذر لأنني وطئت قدمك، فليس غرضي: إما أن أدّعي أن قدمك قد وُطئت، ولا أن أجعلها موطوءة. فهذه حقيقة معكوسة بشكل جليّ في النظم (في اللغة الانجليزية)، في واقع أن نماذج أفعال التعبير عند تأديتها لا تأخذ تلك الشروط، ولكنها تستدعي تحويلا إلى المصدر.

- أفعال الإعلان (Declarations)

إن السمة المميّزة لهذه الفئة هي أن الأداء الناجح لأي عنصر من عناصرها هو الذي يحدث توافقا بين بين المحتوى القضوي والحقيقة الواقعة. إن الآداء الناجح يضمن أن المحتوى القضوي يتوافق مع الواقع الخارجي. فإذا أدّيت بنجاح فعلَ تعيينك رئيسا فأنت رئيس. وإذا أديت بنجاح فعلَ ترشيحك لمنصب فأنت مرشح. وإذا أديت بنجاح فعلَ إعلان الحرب فالحرب قائمة.

إن البنية السطحية لنظم كثير من الجمل المستعملة في تأدية أفعال الإعلان تخفي هذه النقطة عنا؛ لأنه ليس هناك تمييز، على مستوى السطح، بين المحتوى القضوي وبين قوة الإنجاز. وهكذا فقولي: «أنت مفصول»، أو «أنا أستقيل»، لا يبدو بأنها تسمح بالتمييز بين قوة الإنجاز والمحتوى القضوي، ولكنني أعتقد أنها في واقع الاستعمال، من أجل تأدية الإعلان، تكون بنيتها الدلالية هي:

أُعلن: أُنهيَ توظيفُك.

أعلن: أُنهيت وظيفتي.

تُحدث أفعال الإعلان تغييرا ما في وضع أو حالة الشيء أو الأشياء المشار إليها، استنادا، فقط، إلى أن الإعلان قد أنجز بنجاح. ويميّز هذا الملمح أفعال الإعلان عن الفئات الأخرى.

خاتمة

وبهذه التعديلات يكون سيرل قد خطا بنظرية الأفعال الكلامية خطوات عملاقة، إذ وسع من مفاهيمها، وشرح أبعادها، ورتق بعض الاختلالات الموروثة من عهد مؤسسها الأول أوستين. وبذا يكون قد فتح أبوابا من المعاجلة اللسانية لم تكن معهودة من قبل، ومهد بذلك الطريق واسعا لعلماء أسهموا كل من منظوره في إثراء الدرس التداولي الحديث.

ويمكن تلخيص نتائج هذا البحث فيما يلي:

- تعتبر نظرية الأفعال الكلامية هي النظرية المؤسسة للسانيات التداولية، وقد برزت إلى الوجود نتيجة خلافات عميقة بين فلاسفة اللغة والمناطقة حول اعتبار الجملة اللغوية، ومدى تمثيلها للفكر.

- تعتبر مشكلة الخبر والإنشاء هي المشكلة الأساس في تأسيس نظرية الأفعال الكلامية،

– يعتبر تعريف الفعل اللغوي عملا ثوريا في تاريخ البحث اللساني، إذ بعدما كان ينظر إلى الجملة اللغوية باعتبارها الوحدة الأساسية في الملفوظ اللغوي، غدا الفعل الكلامي هو الوحدة الأساسية. وبناء على هذا تم حلّ العديد من الإشكالات المتعلقة بالقصد، وبالدلالة، وبمفهوم التواصل اللغوي بين البشر بعامة.

– يعتبر جون أوستين هو المؤسس الأول لنظرية الأفعال الكلامية، بينما يعتبر سيرل هو أكثر العلماء شرحا لأبعادها، ومفصلا لمجملها، ومكملا لنقائصها، ورابطا لها بحقول معرفية مجاورة.

مراجع البحث بالعربية

1. أرسطو: منطق أرسطو، كتاب العبارة، تحقيق عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ط1، 1980.

2. أبو حامد الغزالي: معيار العلم، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة.

3. آن ربول وجاك موشلار: التداولية اليوم، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2003.

4. خالد ميلاد: الإنشاء في العربية، دراسة دلالية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001.

زكي نجيب محمود: موقف من الميتافيزيقا، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1993.

5. عبد السلام هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001.

6. فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1981.

مراجع البحث باللغات الأجنبية

7. John L. Austin: How to do things with words, Oxford University Press, Amen House, London, 1962.

8. John L. Austin: Philosophical papers, Edited by J. O. Urmson and G. J. Warnock, Oxford University Press, Great Britain, 2nd Ed.

9. John R. Searl: Expression and meaning, Cambridge University Press, 1981.

10. Michaell L. Geis: Speech acts and conversational interaction, Cambridge University Press, 1995.

11. Patrick Charaudeau, et dominique Maingueneau: Dictionnaire d'analyse du discours, Ed Le seuil, Paris, 2002.